

أنا علي بن أبي طالب

﴿ ملخص خطاب مولانا الأستاذ الحكيم ﴾

« في ختام درس المنطق »

وعدنا بأن تأتي بما وعيناه من ذلك الخطاب البليغ وها نحن اولاء
منجزوا موعدها : قال الأستاذ بعد ما تقدمت الاشارة اليه من ذم الاطراء
ما مثاله ملخصاً

سعادة الناس في دنياهم واخراهم بالكسب والعمل فان الله خلق
الانسان واناط جميع مصالحه ومنافعه بعمله وكسبه والذين حصلوا سعادتهم
بدون كسب ولا سعي هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخدم لا يشاركونهم
في هذا احد من البشر مطلقاً والكسب مهما تعددت وجوهه فانها ترجع
الى كسب العلم لأن أعمال الانسان انما تصدر عن ارادته واراادته انما
تنبث عن آرائه وآراؤه هي نتائج علمه فالعلم مصدر الاعمال كلها دنيوية
واخروية فكما لا يسعد الناس في الدنيا الا باعمالهم كذلك لا يسعدون
في الآخرة الا باعمالهم . وحيث كان للعلم هذا الشأن فلا شك ان الخطأ
فيه خطأ في طريق السير الى السعادة عائق او مانع من الوصول اليها فلا
جرم ان الناس في اشد الحاجة الى ما يحفظ من هذا الخطأ ويسير بالعلم في
طريقه القويم حتى يصل السائر الى الغاية وهذا هو المنطق المسمى بالميزان
والمعيار الذي يضبط الفكر ويعصم الذهن عن الخطأ فيه ولهذا كانت العناية
به من اهم ما يتوجه اليه طلاب السعادة

اعتنى العلماء في كل امة بضبط اللسان وحفظه من الخطأ في الكلام ووضعوا لذلك علوماً كثيرة وما كان للسان هذا الشأن الا لانه مجلي للفكر وترجمان له وآلة لا يصلح معارفه من ذهن الى آخر فاجدر بهم ان تكون عنايتهم بضبط الفكر اعظم . كما ان اللفظ مجلي الفكر هو غطاؤه ايضاً فان الانسان لا يقدر على اخفاء افكاره الا بحجاب الكلام الكاذب حتى قال بعضهم ان اللفظ لم يوجد الا ليخفي الفكر

انما ينتفع بالميزان الذي هو علم الفكر من كان له فكر والفكر انما يكون فكراً له وجود صحيح اذا كان مطلقاً مستقلاً يجرى في مجراه الذي وضعه الله تعالى عليه الى ان يصل الى غايته واما الفكر المقيد بالعادات المستعبد بالتقليد فهو المرذول الذي لا شأن له وكأنه لا وجود له . وقد جاء الاسلام ليعتق الافكار من رقبها ويحلها من عقلها ويخرجها من ذل الاسر والعبودية فترى القرآن ناعياً على المقلدين ذاكر لهم بأسوأ ما يذكر به المجرم ولذلك نبى على اليقين الذي علم معناه موضحاً في درس سابق (١) لا ينبغي للانسان ان يذل فكره لشيء سوى الحق والدليل للحق عزيز . نعم يجب على كل طالب علم ان يسترشد بمن تقدمه سواء اكانوا احياء ام امواتاً ولكن عليه ان يستعمل فكره فيما يؤثر عنهم فان وجدته صحيحاً اخذ به وان وجدته فاسداً تركه وحينئذ يكون ممن قال الله تعالى فيهم « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو

(١) قال الاستاذ هو اعتقاد ان الشيء كذا وانه لا يمكن ان يكون الا كذا لانه

مطابق للواقع وهو بمعنى قولهم الاعتقاد الجازم المطابق للواقع واما قولهم عن دليل فلا معنى له لأن اليقين اكثر ما يكون في البديهيات وهي لا يدلل عليها

الالباب « والا فهو كالحیوان والكلام كاللجام له او الزمام يمنع به عن كل ما يريد صاحب الكلام منعه عنه ويقاد الى حيث يشاء ذلك المتكلم أن يقاد اليه من غير عقل ولا فهم

ما الذي يفتق الافكار من رقها وينزع عنها السلاسل والاعلال لتكون حرة مطلقة؛ الجواب عن هذا السؤال يحتاج الى شرح طويل لان تخليص الافكار من الرق والعبودية من اصعب الامور ويمكن ان نقول فيه كلمة جامعة يرجع اليها كل ما يقال وهي (الشجاعة). الشجاع هو الذي لا يخاف في الحق لومة لائم فتى لاح له يصرح به ويجاهر بنصرته وان خالف في ذلك الاولين والآخرين . ومن الناس من يلوح له نور الحق فيبقى متمسكاً بما عليه الناس ويجهد في اطفاء نور الفطرة ولكن ضميره لا يستريح فهو يوبخه اذا خلا بنفسه ولو في فراشه . لا يرجع عن الحق او يكتم الحق لاجل الناس الا الذي لم يأخذ الا بما قال الناس ولا يمكن ان يأتي هذا من موقن يعرف الحق معرفة صحيحة . ان استعمال الفكر والبصيرة في الدين يحتاج الى الشجاعة وقوة الجنان وأن يكون طالب الحق صابراً ثابتاً لا تزغزه المخاوف فان فكر الانسان لا يستعبده الا الخوف من لوم الناس واحتقارهم له اذا هو خالفهم او الخوف من الضلال اذا هو بحث بنفسه واذا كان لا بصيرة له ولا فهم فما يدريه لعل الذي هو فيه عين الضلال . اذن « ان الخوف من الضلال هو عين الضلال » . فعلى طالب الحق ان يتشجع حتى يكون شجاعاً والله تعالى قدهياً الهداية لكل شجاع في هذا السبيل ولم نسمع بشجاع في فكره ضل ولم يظفر بمطلوبه .

وهيئنا شيء يحسبه بعضهم شجاعة وما هو بشجاعة وانما هو وقاحة

وذلك كاستهزاء بالحق وعدم المبالاة بالحق قترى صاحب هذه الخلة
يخوض في الأئمة ويعرض بتدقيق اكابر العلماء غروراً وحماسة والسبب
في ذلك انه ليس عنده من الصبر والاحتمال وقوة الفكر ما يسبر به اغوار
كلامهم ويحص به حججهم وبراهينهم ليقبل ما يقبل عن بينة ويترك ما
يترك عن بينة وهذا لا شك اجبن من المقلد لان المقلد تحمل ثقل التقليد
على ما فيه وربما تنبع في عقله خواطر ترشده الى البصيرة او تلمع في ذهنه
بوارق من الاستدلال لومشى في نورها لا هتدى وخرج من الخيرة وأما
المستهزئ فهو اقل احتمالاً من المقلد فان الهوس الذي يعرض لفكره انما
يأتيه من عدم صبره وثباته على الامور وعدم التأمل فيها . والحاصل ان
الفكر الصحيح يوجد بالشجاعة والشجاعة ههنا (هي التي يسميها بعض
الكتاب العصريين الشجاعة الادبية) قسمان شجاعة في رفع القيد الذي
هو التقليد الاعمى وشجاعة في وضع القيد الذي هو الميزان الصحيح الذي
لا ينبغي ان يقر رأي ولا فكر الا بعد ما يوزن به ويظهر رجحانه وبهنا
يكون الانسان حراً خالصاً من رق الاغيار عبداً للحق وحده . وهذه الطريقة
طريقة معرفة الشيء بدليله وبرهانه ما جاءتنا من علم المنطق وانما هي
طريقة القرآن الكريم الذي ما قرّر شيئاً الا واستدل عليه وارشد متبعيه
الى الاستدلال وانما المنطق آلة لضبط الاستدلال كما ان النحو آلة لضبط
الألفاظ في الاعراب والبناء كما قلنا . ولا يمكن ان ينتفع احد بالمنطق
ولا بغيره من العلوم مما قرأها وراجمها الا اذا عمل بها وراعى احكامها
حيث ينبغي ان تراعى فالذي يحفظ العلم حفظاً حقيقياً هو العمل به والا
فهو منسي لا محالة وانما نرى المجاور يقضى السنين الطويلة في الأزهر

ينارس العلوم العربية ولا ينتفع بها بتحصيل ملكة العربية قولاً وكتابة
وانما ذلك لعدم الاستعمال . فانصح لكل من يسمع كلامي ان يستعمل ما
يحصله من العلم وان يحصل لنفسه ملكة الشجاعة وبدون هذا لا ينتفع
بعلم ولا عمل ويكون الاشتغال بالدروس في حقه من اللغو المنهى عنه
المنموم صاحبه شرعاً . بل يقضى حياته كسائر الحيوانات العجم وربما
كان اتس منها . واحب ان يكون كل منكم انساناً كاملاً والانسان يطلب
الجميل النافع لانه حسن في نفسه لا لأن غيره يطلبه فلو كفر كل الناس
لوجب عليه ان يكون اول المؤمنين وهذا هو الاسلام الصحيح . ثم
ختم الاستاذ الخطاب بالدعاء والتناء على الله تعالى وانفض الاجتماع



(قصيدة) من القصائد التي نظمت بمناسبة الاحتفال بختم درس
المنطق قصيدة غراء لصديقنا الفاضل الشيخ احمد عمر المحمصاني البيروتي
قال في مطلعها يخاطب الاستاذ

لمليك مجد لايمالله مجد وفضلك فضل لايرام له حد
وانت امام العصر بل انت شمسه وانت وحيد الدهر والعلم الفرد
اقتت منار الشرع فينا بهمة هي الهمة العليا والنفطنة النقد

(ومنها)

قلت جموع الزيف بالحق والهدى وهابتك حتى في مرابضها الاسد
وذدت عن الدين الحنيفي مخلصاً على حين ان القوم ليس لهم ذود
بتفسيرك الشافي كشفت سحابة من الجهل قد غشت وطال بها العهد
على أمة في غفلة عن حياتها وقل نصير الحق وانتشر الصد